تابع ... النوع الحادي والأربعون: (معرفة تفسيره وتأويله ومعناه) من ص٣١٧-٣٣٨

مسألة النهي عن ذكر لفظ الحكاية عن الله تعالى ووجوب تجنب إطلاق الزائد على بعض الحروف الواردة في القرآن

كثيراً ما يقع في كتب التفسير حكى الله تعالى وينبغي تجنبه، قال الشيخ عبد السلام: " الصحيح أن هذا فيه تفصيلاً وقد بينته في كتابي الأساس والتنوير في أصول التفسير".

قال القشيري:

" قال معظم أئمتنا: لا يقال كلام الله يحكى، ولا يقال حكى الله، لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء، وليس لكلامه مثل، وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار -قال الشيخ عبد السلام: " إذاً والصحيح جواز إطلاقه لأن ليس المقصود إثبات الصفة وإنما الإخبار عن الفعل" - وكثيراً ما يقع في كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف "ما" في: {فبما رحمة من الله} والكاف في: {ليس كمثله شيء} والذي عليه المحققون تجنب هذا اللفظ في القرآن إذ الزائد ما لا معنى له وممن نص على منع ذلك في المتقدمين الإمام داود الظاهري وروى بعض أصحابنا عن أبي سليمان أنه كان يقول: ليس في القرآن صلة بوجه والذي عليه أكثر النحويين خلاف هذا ثم حكى عن أبي داود مثله يزعم الصلة فيها كقوله تعالى: {مثلا ما بعوضة}"ص٣١٧

قال الشيخ عبد السلام: أي كلمة ما على أنها صلة وفيها خلاف كبير في الإعراب، وهو يقول أنه لا يجوز أن يقال {فبما رحمة} "ما" زائدة والصحيح أنه يجوز أن يقال مثل ذلك إذا كان قد اتفق أن معنى زائدة أن لها عمل أما أن يظن أن زائدة لا عمل لها يستفاد منها فليس كذلك.

تقسيم التأويل (منقاد ومستكره):

المنقاد: ما لا تعرض فيه بشاعة أو استقباح وقد يقع فيه الخلاف بين الأئمة لأسباب.

المستكره: ما يستبشع إذا عرض على الحجة وذلك على أربعة أوجه.

المنقاد

أسباب الاختلاف:

- الاشتراك في اللفظ نحو: {لا تدركه الأبصار} هل هو من بصر العين أو القلب
- أمر راجع إلى النظم {إلا الذين تابوا} هل الاستثناء مقصور على المعطوف وحده أو عائد للجميع؟
- غموض المعنى ووجازة النظم كقوله تعالى: {وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم}

المستكره

على أربعة أوجه:

- أن يكون لفظاً عاماً فيختص ببعض ما يدخل تحته مثاله: {وصالح المؤمنين} فحمله بعضهم على علي فقط قال الشيخ عبد السلام: لا شك أنه من صالح المؤمنين ولكن لا دليل على تخصيصه في هذا الموضع فقط
- أن يلفق بين اثنين مثاله: من زعم تكليف الحيوانات {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} قال الشيخ عبد السلام لا شك أنه متكلف لأن مقصود هو الإطار العام وليس التكليف
- ما استعير فيه مثاله: قوله تعالى: {يوم يكشف عن ساق} في حمله على حقيقته
- ما أشعر باشتقاق بعيد مثاله: قول بعض الباطنية في البقرة: إنه إنسان يبقر عن أسرار العلوم، قال الشيخ عبد السلام: وكل هذه أكاذيب

أصل الوقوف على معاني القرآن: التدبر والتفكر

أسباب منع حصول الناظر على فهم معاني الوحي وأسرار العلم من غيب المعرفة:

إذا كان في قلبه بدعة أو إصرار على ذنب.	إذا كان في قلبه كِبر أو هوى أو حب الدنيا.	يكون غير متحقق الإيمان.	ضعيف التحقيق أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر أو يكون راجعاً إلى معقوله

قال الشيخ عبد السلام: الصحيح أن المذنب والذي في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا قد يفتح له في المعرفة ولكن لا ينتفع بهذه المعرفة بدليل قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها" فإنه اعتمد على معرفته في ضلال الناس "وأضله الله على علم".

صفات الراسخ في العلم:

يصغي إلى كلام ربه ملقياً السمع.	شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه.	ناظر إلى قدرة مخاطبه.	تارك للمعهود من علمه ومعقوله.	متبرئ من حوله وقوته.	معظم للمتكلم مفتقراً إلى التفهم.	حاله مستقيمٌ وقلبه سليم مع قوة علم، وتمكن سمع لفهم الخطاب، وشهادة غيب الجواب، بدعاء وانتظار للفتح من الفتاح العليم.

في القرآن علم الأولين والآخرين

- في القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه
- بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثا وستين من قوله تعالى في سورة المنافقين: {ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها} فإنها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده، قال الشيخ عبد السلام: لا شك أن هذا الاستنباط لا يستقيم
- قوله تعالى مخبرا عن عيسى: {قال إني عبد الله آتاني الكتاب} إلى قوله: {أبعث حيا} ثلاث وثلاثون كلمة وعمره 33 سنة قال الشيخ عبد السلام: في تحديد عمره ٦٣ سنة فيه نظر ويُحتاج لتأكد نقل وإلا فقد ورد في الاسرائيليات ودرج عليه المفسرون
- وقد استنبط الناس زلزلة عام اثنين وسبعمائة من قوله تعالى: {إذا زلزلت الأرض} فإن الألف باثنين والذال بسبعمائة، قال الشيخ عبد السلام: هذا استنباط لا يستقيم.

قد يستنبط الحكم من السكوت عن الشيء

- مثال: قوله تعالى: {ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن} الآية ولم يذكر الأعمام والأخوال وهم من المحارم وحكمهم حكم من سمي في الآية وقد سئل الشعبي عن ذلك فقال: لئلا يضعه العم عند ابنه وهو ليس بمحرم لها وكذا الخال فيفضي إلى الفتنة والمعنى فيه أن كل من استثني مشترك بابنه في المحرمية إلا العم والخال وهذا من الدلائل البليغة على وجوب الاحتياط في سترهن.

لقائل أن يقول: هذه المفسدة محتملة في أبناء بعولتهن لاحتمال أن يذرها أبو البعل عند ابنه الآخر وهو ليس بمحرم لها وأبو البعل ينقض قولهم إن من استثنى اشترك هو وابنه في المحرمية.

قال الشيخ عبد السلام: صحيح ينبغي أن يبحث في علة أخرى في عدم ذكر العم والخال في الآية وهذه العلة غير مستقيمة وكل علة لا تتطرد لا تكون مستقيمة والأصل هو الاطراد

تقسيم القرآن (بيّن بنفسه وما ليس ببيّن في نفسه فيحتاج إلى بيان) البيّن بنفسه | ما ليس بيّناً بنفسه

البيّن بنفسه بلفظ لا يحتاج إلى بيان منه ولا من غيره.

مثاله: كثير، ومنه قوله تعالى: {التائبون العابدون} وقوله: {قد أفلح المؤمنون} وقوله: {يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا}

ما ليس بيّناً بنفسه فيحتاج إلى بيان وبيانه إما فيه (آية أخرى) أو في السنّة لأنها موضوعة للبيان قال تعالى: {لتبين للناس ما نزل إليهم}.

١. المبيَّن في السنة:

ككثير من أحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والمعاملات والأنكحة والجنايات وغيره كقوله تعالى: {وآتوا حقه يوم حصاده} ولم يذكر كيفية الزكاة ولا نصابها ولا أوقاصها (الذي يكون بين الفرضين في الزكاة) ولا شروطها ولا أحوالها ولا من تجب عليه ممن لا تجب عليه.

٢. المبيّن في القرآن:

في الصحيحين عن ابن مسعود: لما نزل: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه! قال: "ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه" {يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم} فحمل النبي ﷺ الظلم ها هنا على الشرك لمقابلته بالإيمان.

١. قد يكون بيانه مضمراً فيه كقوله تعالى: {حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها} (قال الشيخ عبد السلام: وفتحت بالتخفيف والتشديد قراءتان) فهذا يحتاج إلى بيان لأن {حتى} لا بد لها من تمام، ومثله: {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال} أي لكان هذا القرآن على رأي النحويين، قال ابن فارس: ويسمى هذا عند العرب الكف (قال الشيخ عبد السلام: أي الكف عن الجواب بمعرفته من خلال الخطاب).

٢. قد يومئ إلى المحذوف: متأخر ← متقدم

- إما **متأخر** كقوله تعالى: {أفمن شرح الله صدره للإسلام} فإنه لم يجئ له جواب في اللفظ لكن أومأ إليه قوله: {فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله} وتقديره: {أفمن شرح الله صدره للإسلام} كمن قسا قلبه.
- إما **متقدم** كقوله تعالى: {أمن هو قانت آناء الليل} فإنه أومأ إلى ما قبله: {وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا} كأنه قال: أهذا الذي هو هكذا خير أم من هو قانت؟ فأضمر المبتدأ.

٣. قد يكون بيانه واضحاً وهو أقسام:

- أحدها: أن يكون **عقبه**، ومثاله:

قوله تعالى: {إن الإنسان خلق هلوعا} قال أبو العالية: تفسيره: {إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا} وقال ثعلب: سألني محمد بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله تعالى، (قال الشيخ عبد السلام: هذا التفسير بالمعنى وليس التفسير للفظ من حيثه).

قوله: {فيه آيات بينات} فسره بقوله: {مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا} (الصحيح أن الآيات البينات تشمل المقام وغير ذلك والمقام هنا يمكن أن يكون بدل بعض من كل).

وقوله تعالى: {ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى} فإن الأول اسم منه والثاني أفعل تفضيل بدليل قوله بعده {وأضل سبيلا}، قال الزركشي: فإن قلت: فقد قال النحويون أفعل التفضيل لا يأتي من الخلق فلا يقال: زيد أعمى من عمرو لأنه لا يتفاوت! قلت: إنما جاز في الآية لأنه من عمى القلب أي من كان في هذه الدنيا (قال الشيخ عبد السلام: الصحيح أن في الآية تفسيراً أوسع من ذلك)

- الثاني: أن يكون بيانه **منفصلاً عنه في السورة**، **معه أو في غيره**، ومثاله:

قوله تعالى: {مالك يوم الدين} وبيانه في سورة الانفطار بقوله: {وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله}.

قوله تعالى: {أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين} فسره في آية الفتح: {أشداء على الكفار رحماء بينهم} (قال الشيخ عبد السلام: والصحيح أن كلاً منها لها معنى).

قوله: {وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا} بين ذلك بقوله في النحل: {وإذا بشر أحدهم بالأنثى}، (قال الشيخ عبد السلام: الصحيح أن آية الزخرف لها معنى أوسع من آية النحل).

قوله تعالى: {إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار} فإن ظاهره مشكل لأن الله سبحانه قد هدى كفارا كثيرا وماتوا مسلمين وإنما المراد لا يهدي من كان في علمه أنه قد حقت عليه كلمة العذاب وبيانه بقوله تعالى في السورة: {أفمنحق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار} (قال الشيخ عبد السلام: الصحيح "إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار" أي: من يصر على ذلك على سبيل العناد والالتزام فلا يغيره، فلا يفتح عقله ولا قلبه فمثلاً عمر بن الخطاب فتح عقله وقلبه عندما سمع القرآن مع أنه كان يعادي القرآن قبل ذلك فهداه الله وجعله ثالث رجل في الإسلام).

قوله: {الحر بالحر والعبد بالعبد} الآية فإنها نزلت تفسيرا وبيانا لمجمل قوله: {وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس} لأن هذه لما نزلت لم يفهم مرادها، (قال الشيخ عبد السلام: هذا غير صحيح ولو قيل بالعكس لكان أحسن أي أن آية المائدة هي المتأخرة والمفترض أن يقضى بها).

قوله: {حرمت عليكم} هي تفسير لقوله: {ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء} الآية (قال الشيخ عبد السلام: الصحيح أن الأولى تشمل حالة زائدة على الثانية وكل منها أدت معنى زائدة وليست مجرد بيان).

قوله تعالى: {وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم} قال العلماء: بيان هذا العهد قوله تعالى: {لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم} الآية فهذا عهده عز وجل وعهدهم تمام الآية في قوله: {لأكفرن عنكم سيئاتكم} فإذا وفوا العهد الأول أعطوا ما وعدوا (قال الشيخ عبد السلام: العبارة ناقصة في نسخة المرعشلي والنقص كلمة "أعطوا").

قوله: {وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن} بيانه: {الرحمن علم القرآن} (قال الشيخ عبد السلام: بيانه: يعني هذا من بيانه وإلا هناك آيات كثيرة تبين الرحمن)

قوله: {لو نشاء لقلنا مثل هذا} فقيل لهم: {لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله} (قال الشيخ عبد السلام: هذا مع أن هذه الأخيرة مكية والأولى مدنية).

جعل بعضهم من هذا قوله تعالى: {قال رب أرني أنظر إليك} قال: فإن آية البقرة وهي قوله: {حتى نرى الله جهرة} تدل على أن قوله: {رب أرني} لم يكن عن نفسه وإنما أراد به مطالبة قومه ولم يثبت في التوراة أنه سأل الرؤية إلا وقت حضور قومه معه وسؤالهم ذلك (قال الشيخ عبد السلام: هذه من الأخطاء الكبيرة في التفسير فإن سؤال موسى منفصل عن سؤال قومه وسؤاله لشيء وسؤالهم لشيء آخر وسؤاله عن إيمان وسؤالهم عن جحود وتعنت وعناد، وقد وقع في هذه الوطئة بعض المفسرين بسبب الانتماء العقدي السابق: الانتماء الفرقي وقالوا فزادوا).

قوله عن أهل الكساء: "هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" وسياق القرآن يدل على إرادة الأزواج وفيهن نزلت ولا يمكن خروجهن عن الآية لكن لما أريد دخول غيرهن قيل بلفظ التذكير: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت} فعلم أن هذه الإرادة شاملة لجميع أهل البيت الذكور والإناث-(قال الشيخ عبد السلام: الصحيح أن لفظ التذكير لأجل تغليب وجود النبي فدخول أولي ثم بعد ذلك أدخل الرسول المشهورين بأهل الكساء).- بخلاف قوله: {يا نساء النبي} ودل أن عليا وفاطمة أحق بهذا الوصف من الأزواج (قال الشيخ عبد السلام: في ذلك تأمل لأن الآيات وردت في نساء النبي فدخولهن أولي ثم أدخل النبي فاطمة وعلي والحسنين).

- قد يكون اللفظ مقتضياً لأمر ويحمل على غيره لأنه أولى بذلك الاسم منه.

مثاله: تفسيرهم السبع المثاني بالفاتحة مع أن الله تعالى أخبر أن القرآن كله مثاني.

- قد يكون اللفظ محتملاً لمعنيين وفي موضع آخر ما يُعينه لأحدهما

مثاله: قوله في سورة الحجر: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين} فالاستثناء منقطع لقوله في الإسراء: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا} ولو كان متصلاً لاستثناهم فلما لم يستثنهم دل على أنهم لم يدخلوا. (قال الشيخ عبد السلام: الصحيح أن كلاً من الآيتين تحمل على معنى منفصل فالاستثناء هناك متصل وأما هنا فإنه تحمل على من أنعم الله عليه من النبيين وأمثالهم ممن عصم الله وتحمل عليهم وعلى التائبين).

قد يكون للفظ ظاهر وباطن.

مثاله: قوله تعالى: {أن طهرا بيتي للطائفين} ظاهره الكعبة، وباطنه القلب،-(قال الشيخ عبد السلام: الصحيح أن ظاهره هو باطنه ويقال القلب على سبيل التجوز ولا يقال هذا تفسيره)- قال العلماء: ونحن نقطع أن المراد بخطاب إبراهيم الكعبة، لكن العالم يتجاوز إلى القلب بطريق الاعتبار عند قوم، والأَوْلى عند آخرين.

مما يعين على المعنى عند الإشكال أمور

أحدها: رد الكلمة لضدها كقوله تعالى: {ولا تطع منهم آثما أو كفورا} أي: ولا كفوراً، (قال الشيخ عبد السلام: وليس المقصود ولا تطعها إلا إذا اجتمعا).

الثاني: رد الكلمة إلى نظيرها كما في قوله تعالى: {يوصيكم الله في أولادكم} فهذا عام وقوله: {فوق اثنتين} قولٌ حدَّ أحد طرفيه وأرخي الطرف الآخر إلى غير نهاية، لأن أول ما فوق الثنتين الثلاث وآخره لا نهاية له.

الثالث: ما يتصل بالكلمة من خبر أو شرط أو إيضاح في معنى آخر كقوله تعالى: {من كان يريد العزة فلله العزة جميعا} يحتمل أن يكون معناها: من كان يريد أن يعز أو تكون العزة له، ويحتمل أن يكون معناها: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فإنها لله.

الرابع: دلالة السياق (من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته).

مثاله: قوله تعالى: {ذق إنك أنت العزيز الكريم} سياقه يدل على أنه الذليل الحقير.

❋ الخامس: ملاحظة النقل عن المعنى الأصلي.

مثاله: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين} وذلك أن أصل دون للمكان الذي أنزل من مكان غيره ومنه الشيء الدون للحقير ثم استعير للتفاوت في الأحوال ثم اتسع فيه فاستعير في كل ما يتجاوز حدا إلى حد وتخطى حكماً إلى حكم آخر كما في الآية المذكورة والتقدير **لا تتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين.**

❋ السادس: معرفة النزول وهو من أعظم المعين على فهم المعنى وكان الصحابة والسلف يعتمدونه.

مثاله: فهم عروة بن الزبير من قوله تعالى: {فلا جناح عليه أن يطوف بهما} أن السعي ليس بركن، فردت عليه عائشة ذلك وقالت: "لو كان كما قلت لقال فلا جناح عليه ألا يطوف بهما" وثبت أنه إنما أتى بهذه الصيغة لأنه كان وقع فزع في قلوب طائفة من الناس كانوا يطوفون قبل ذلك بين الصفا والمروة للأصنام فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم وأمرهم بالطواف. رواه البخاري في صحيحه فثبت أنها نزلت رداً على من كان يمتنع من السعي.